

محمود صبح

من الوجهة الفنية

للأستاذ محمد السيد المويلحي

—><—



(لأن الذي يستطيع أن يناقشه أو يجادله لم يخلق بعد ، ولأن الله سبحانه لا يخلق رسولين في عصر واحد وإلا فسدت الرسالة) .
هكذا يقول الرسول (محمود صبح) الذي يذكرني (برويسير)
الذي آمن بعصمته فكان يصد كل من يظن فيه المعارضة لآرائه
ومبادئه لا شيء . إلا لأنه كافر بالعصمة والفضيلة !

هقامة ربعة وإن كانت تميل إلى القصر ، تشبه (شوال) الملح
لونا وشكلاً وثقلاً ، وإن كانت تمتاز بظرف عجيب . قامة وإث
حرمت نور البصر ، فقد وهبت قوة هرقلية تستطيع (بفضل الله)
أن تجندل من تشاء بضربة فنية قاضية . قامة تجيد كافة الألعاب
الرياضية من ملاكمة ومصارعة وحمل أثقال ...

رأس أودع الله فيه كنزاً غنياً من الفن الأصيل للمكين
المقتدر المبشكر . حاجبان كثيفان لو وزع شعرهما على عشرة رؤوس
(صلعاء) لأصبحت غنية بالشعر القوي . أنف كأنف الصقريهبط
في هدوء وتقوس حتى يستقر على شكل (هلب كبير) ... !!

وجه ممتلئ طالما زينته الهامة حتى نار عليها وأبى إلا أن
(يتطربش) لتكمل أناقته ورشاقته ... فم وإن كان يذكر الله
كثيراً ويجيد تلاوة كلامه ... إلا أنه لا يحب أن يفضب الشيطان
فبهجر أوامره وإغراءه بل يندفع في سبيل ترضيته فيصف
(إخوانه) وزملاءه بوصف (مزخرف) مصنوع في معامل
(بولاق) وحوش بردق ...

أذنان حادتان صارمتان لا تعترفان إلا بنتاج صاحبهما ،
أما غيره ... ف (صوء ... صوء أعوذ بالله ، يا مستار العيوب ،
إيه ده ؟؟)

يدان قديرتان ساحرتان إذا صفا صاحبهما أسرتا وسحرتا ،
وخلقتا قوة وقدرة وفناً أصيلاً نبيلاً . يدان تسجد لهما الموسيقى
المرية (البحتة) ، ويخضع لها النغمة العالی الذي لا يخضع
إلا للقليلين .

صوت هائل كامل شهد له الجميع بالقوة والقدرة والمذوبة
وقوة التأثير . أروع من يؤدي (الباص) وأبدع من يحسن
(البريتون) ، وأرفع من يجيد (التيتور) . يتكون من ديوانين
ونصف تقريباً لا عيب فيه إلا خلوه من العيب ... صوت

قد يحمده الفنان إذا اعتر بنجاحه وسما به عن الابتذال
والعرض والمقارنة ؛ وقد يحمده إذا عرف لنفسه قدرها لأنه أدرى
الناس بمقريته وقوته ، وأشد هم إيماناً بالهامه وتوفيقه
ولكنه لا يحمده ولا يثنى عليه إذا تدرج اعترازه وإيمانه بقدرته
إلى الأمانية التي تحمله على تقديس نفسه وإنكار الجميع ... الجميع
دون استثناء ... !

ومحمود صبح موسيقى مرهوب موهوب يلهمه إلهاماً تاماً
ويجيد المزج على المود والنأي والبيان ، وله لون خاص ينفرد به
ويعجب جمهرة كبيرة ... ولكنه يمتد بل يؤمن إيماناً عميقاً أنه
مبعوث العناية الإلهية لإنهاض الرسالة الموسيقية . فعلى كل من
ينتمي إليها بوشيجة أن يؤمن به إيمان المجاز فلا نقاش ولا جدال

— أغيثوني ... أدركوني ...
 — مالك يا مولانا ... مالك يا مولانا ...
 — أغيثوني ... أدركوني ... أمسيكوني جيداً ... سدوا
 « وداني » ... سدوا « وداني » ...

هرع إليه هذا الجمع الحاشد وكله لهفة وإشفاق فإذا بالشيخ
 محمود يقول :

الجن عازره تحطفي ، رئيسهم كلني في (أذني) وقال :
 احنا عاوزينك يا محمود عشان بنتي حتجوز ... امسكني لينخطفوني !

عصبى إلى درجة بعيدة . لا يطبق النقد . ومن ظريف أمره
 أيام كان يذيع في المحطات الأهلية أنه كان يجلس في محطة
 (فؤاد) قائلاً لهؤلاء الذين يكتبون عنه أو يتكلمون بما لا يجب :
 يا ليل ، يا ليل ، سامع (يا فلان) يا ابن ... شايف الشغل
 ازاي ... يا ليل ، يا عني يا ليل ، (فلان) نحن محمود صبح ،
 أفتاب ابن الـ يا ليل يا عني ، لاح بدر التم أمان . أمان دوس
 يالالى ... يا بتوع (....) يا أولاد ... اتعلموا وخلوا
 عبد الوهاب بتاعكم يتعلم ؟!

وبعد فحمود صبح شخصية عظيمة ظريفة انحدرت من
 بيت عريق ؟ ومن أصل طيب . لا يمتد في معيشته على فته بقدر
 ما يمتد على إمراده الخاص الذي يكفل له عيشاً رغداً ، ولولا
 مغالاته بقدره واعتداده بنفسه لكان عظيمًا نافعاً

محمد السيد المريعي

أذهب زلفات
 الاستبأج الشام شبيبي
 وكتاب
 الإسلام الصحيح

منه مكتبة الرزاق الفلكي لا بدور
 رسم : الكتبات العربية الشريفة

لو استطاعت محطة الإذاعة أن تهبي له الجلسة الفنية المضبوطة
 أمام (الميكروفون) لكان آية ، ونحلا من تلك المواصف التي تكاد
 تصم الآذان .

صوت يقلد القطار أدق تقليد ، ويحاكي صوت (القلة)
 أنهم محاكاة . ومن ظرف محمود أنه إذا صفا أسمك بقمه صوت العجين
 عند ما (يلت) حتى لتخاله امرأة منهمكة في (ماجورها) ...
 — أقدر من يلحن الموشحات ، ويكفيه غزراً وسجواً وخلوداً
 أن أعظم من بالنا ما بلغ من القوة والقدرة لا يستطيع أن يحاكيه
 بواحد من موشحاته لتشعبها ، وكثرة أنغامها ، ووفرة حركاتها ،
 ودقة تركيبها ، وإن حاول فالفضل له بالمرصاد ...!

فنان موهوب مبتكر بصير بما يصنع ، خبير بفنه لا يحاكي
 ولا يقلد بل له لونه الخاص المروف لأنه كما قلنا قبلاً لا يؤمن
 إلا برسائله . لا يعرف شيئاً في القواعد النثرية مع أن علم
 « التحميس » قد تقدم وأصبح يدرس في كل مكان
 يجيد العزف على العود ، والاسب على البيان والنفخ في الناي .
 — إذا سأله عن (فلان) المشهور قال : (طز) وعن فلانة المروفة
 قال : (طزين يا سيدى)

الويل لك إذا سمسته وأعلنت سرورك وتقديرك بقولك (يا سلام
 يا شيخ محمود ! الله يزيدك) لأنه يلتفت إليك متحفظاً صارخاً
 (هو لسه يا أخينا حيزيدنى ... حيتخليني إيه أكثر من كده ؟)
 والويل لك أكثر وأكثر إذا أخذتلك النشوة فنسيت أن تحببه
 لأنه يسكت فجأة ويخاطبك :

— حضرتك من سامعنى يا فندى ؟

— سامع يا أستاذ دى حاجة عظيمة جداً

— أمال ساكت ليه ؟ ساكت ليه يا فندى ؟ ودانك
 بتوجعك ؟ والله ما نا قابل حاجة إلا لو خرجت من هنا . اتفضل
 يا فندى وخدها وهى حلوة ... !

كان في الحسينية من خمس تشرة سنة يعزف بموده أمام
 حشد من مريديه ومحبيه فلما أخذته النشوة رى (بموده) وصرخ
 متمدداً قائلاً :